القراءة وإشكالية التأويل

قزيبر عثمان
جامعة ابن طفيل القنيطرة ـ المغرب

DOI: https://doi.org/10.56807/buj.v3i1.125

الملخص

يهدف هذا المقال إلى فحص تلك العلاقة الجدلية التي تربط بين فعل القراءة وفعل التأويل، باعتبارهما مصطلحين مترابطين لا يستقيم أحدهما إلا بحضور الآخر أو وجوده، كما أنه لا يخفى علينا اليوم أن مصطلح القراءة والتأويل حديث الاستعمال، وقد فرض حضوره بشكل كبير جدًا، انطلاقًا من النظريات التي اهتمت بفعل القراءة بوصفها نشاطًا تأويليًا يقوم به القارئ، ذلك القارئ الذي يعد المحقق الفعلي للنتاج الأدبي أو غيره من الإنتاجات التي تستحق العملية القرائية التأويلية؛ ونتيجة لذلك فقد وسمت هذه العمليات التي تقام من طرف هذا القارئ أو ذاك ب " نظرية القراءة "، بينما أعجب بها آخرون ووصفوها بالفعل القرائي المنتج و وسموها ب" نظريات التأويل " وهناك من فضل الجمع بين المصطلحين معًا ليسميهما ب" نظريات القراءة والتأويل". لكن التساؤل الذي يفرض نفسه بقوة في ظل هذا السياق كيف تتم هذه العلاقة الجدلية بين فعل القراءة والتأويل؟

كلمات مفتاحية: القراءة– التأويل – الإبداع– التفسير.

Reading and the problem of interpretation

Abstract

This article aims to examine the dialectic relationship between the act of reading and the act of interpretation as two interrelated terms that cannot be separated. It is also well known that the term reading and interpretation is very common. It has imposed its presence very much based on theories that have concerned the act of reading as an interpretive activity practiced by the reader, that actual investigator reader of literary production or other productions worthy of the interpretive reading process. As a result, these processes by this or that reader have been characterized as a "reading theory", while others have already admired the act of reading and called that "theories of interpretation". Others prefer to combine the two and call them "theories of reading and interpretation". However, the question that imposes itself so strongly in this context is how is this dialectic relationship between the act of reading and interpretation occurs?

Keywords: *Reading and interpretation.*

المقدمة:

تهدف هذه الدراسة إلى رصد جدلية العلاقة بين القراءة والتأويل؛ فمصطلح القراءة والتأويل مصطلح حديث الاستعمال، فقد نشأ بشكل علمي مع نظريات اهتمت بشكل كبير جدا بالقراءة باعتبارها نشاطًا تأويليًا يقوم به القارئ، على اعتباره محققًا فعليًا للنصوص، من هنا يعد مصطلح القراءة في جوهره ضرورة تحقيقية وإنتاجية، وهي فعل يستمد مفهومه في الأبحاث والتنظيرات المعاصرة من عملية تبدأ بتهجية الحروف والاستهلاك المحدود إلى عملية المساوقة والمشاركة في الإبداع والتصريف، وهي على كل حال عملية معقدة تقوم على مجموعة من الأوليات والاشتغالات النفسية والثقافية والاجتماعية والجمالية وغيرها، في حين أن مصطلح (القراءة) الذي نؤرخ له، يواجه في الأوضاع الراهنة لمجتمعاتنا تحديات ورهانات متعددة بل ومتعارضة، بعضها معرفي فكري و بعضها الآخر تاريخي، سياسي وإيديولوجي؛ ولذلك فقد نُظر إلى هذا المفهوم النقدي من زوايا متعددة ومختلفة، كما أقيمت حوله أبحاث ودراسات علمية من قبيل: سوسيولوجية القراءة، وسيكولوجية القراءة، وفي جمالية التلقي، إلى غير ذلك من الدراسات والأبحاث بخصوص هذا المفهوم.

فقد اعتبرت هذه الدراسات مصطلح القراءة بمثابة نشاط نفسي أو استجابة داخلية، واعتبرته بمثابة ظاهرة اجتماعية وتاريخية، واعتبرته بمثابة تجليات دينامية لمعطيات ثقافية ومعرفية، في حين أن الإلمام بكل هذه المجالات والجوانب صعب في مثل هذا السياق، فقد جاز لنا أن ننفتح على الإشارة إلى بعض الأفكار والنظريات المعاصرة التي تحاول تشريح وفهم مصطلح: فهوم القراءة، الفهم الذي يليق به، وإبراز أبعاده التواصلية والإنتاجية، لأجل فتح باب التحاور والتعامل مع مستجدات التلقي والتأويل.

وقبل الشروع في تحديد الأبعاد الكبرى لهذا المصطلح، وكذا أهميته في قراءة البنى النصية، لا بد من الإشارة إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذا المصطلح كي يتجلى لنا أمر هذا الأخير بوضوح، بعد ذلك سننفتح على تلك العلاقة القائمة بين القراءة وإشكالية التأويل .

ولفهم هذه العلاقة بين القراءة وإشكالية التأويل لا بد من الوقوف مع مصطلح القراءة.

. مشكلة الدراسة:

تتلخص مشكلة الدراسة في محاولة لمعرفة العلاقة الرابطة والقائمة بين القراءة وإشكالية التأويل، ويتمخض عن هذا الأمر طرح بعض الأسئلة الفرعية، وهي كالآتي:

كيف تتم عملية التأويل انطلاقًا من عملية القراءة ؟

كيف تتشكل العملية التأويلية المنطقية ؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

التعرف على مفهوم القراءة ومفهوم التأويل؛ باعتبارهما مفهومين متداخلين، كل واحد منهما يكمل الآخر.

رصد جدلية العلاقة الرابطة بين فعل القراءة وفعل التأويل.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها تحاول الوصول إلى معرفة الكيفية التي يتشكل عبرها عنصر مفهوم القراءة ومفهوم التأويل للنصوص على اختلافها، وانطلاقًا من العمليات الإبداعية في النصوص الأدبية، وغيرها من النصوص الأخرى: كالنصوص الدينية والسياسية والشعرية والقانونية والقضائية والإشهارية والاجتماعية... إلخ.

انطلاقًا من هذا وذاك ومن فعل القراءة والتأويل تمتحن هذه النمطية من النصوص من هذه العمليات القرائية والتأويلية.

منهج الدراسة:

في دراستنا هاته تم استخدام المنهج الوصفي والتحليلي؛ فهو المنهج الشائع في مثل هذه الدراسات الإبداعية وغيرها.

حدود الدراسة:

تأتي حدود هذه الدراسة في المجال الزمني على تنوعه و هي غير مرتبطة بنص من النصوص أو إبداع من الإبداعات؛ فتبقى دراستنا هذه مفتوحة على أي إنتاج أنتج في زمن ما وفي سياق ما، فهي تبقى دراسة وصفية ومنهجية في التعامل مع النصوص كيف ما كانت، وليست دراسة تطبيقية أو محدودة على نص من النصوص. هذا ما

جعل دراستنا تبقى دراسة مفتوحة وغير مقيدة بإنتاج أدبي أو غيره من الإنتاجات الأخرى.

1 تحديد مفهوم القراءة لغة واصطلاحا

"حددوا مصطلحاتكم تستقيم أموركم "

أ: في المعاجم اللغوية العربية: القراءة هي مصدر للفعل الثلاثي " قرأ "، فقد ورد في لسان العرب " قَرَأَهُ يَقْرَؤُهُ ويَقْرُؤُهُ الأَخيرة عن الزجاج قَرْءاً وقِراءة وقُرآناً الأُولى عن اللحياني فهو مَقْرُوءٌ".

كما ورد لفظ القراءة بعدة معان، أبرزها:

1 الجمع والضم: أُخذ هذا المعنى من "قَرَأْتُ الشيءَ قُرْآناً جَمَعْتُه وضَمَمْتُ بعضَه إِلى بعض، ومنه قولهم: ما قَرَأَتْ هذه الناقةُ سَلىً قَطُّ وما قَرَأَتْ جَنِيناً قطُّ أَي لم يَضْطَمّ رَحِمُها على ولد"

(ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد. لسان العرب. دار صادر. بيروت لبنان، مج1. د، ط. د. ت، مادة قرأ. ص128. ابن منظور ص:128).

2 التبين: ويستفاد ذلك من تفسير ابن عباس – رضي الله عنه– للآية الكريمة " فإذا قرأناه فاتبع قرآنه"، بقوله: فإذا بيناه لك بالقراءة، فاعمل بما بيناه لك(ابن منظور، ص:130).

3 المدارسة: ويستشف ذلك من "وقارَأَه مُقارَأَةً وقِراءً بغير هاء دارَسه"(ابن منظور، ص:129).

4 التفقه: ينقل ابن منظور في اللسان عن الفراء، "يقال: رجل قُرَّاءٌ وامْرأَة قُرَّاءةٌ، وتَقَرَّأَ: تَفَقَّه...وقال بعضهم: قَرَأْتُ تَفَقَّهْتُ(ابن منظور. ص.130).

5 التلاوة: قرأ الكتاب قراءة: تتبع كلماته نظرًا ونطق بها، وتتبع كلماته ولم ينطق بها، وسميت حديثًا بالقراءة الصامتة، وقرأ الآية من القرآن: نطق بألفاظها عن نظر أو عن حفظ(مجمع اللغة العربية بالقاهرة.(2004). المعجم الوسيط. مكتبة الشروق الدولية. القاهرة مصر. ط4. ص722).

مما سبق نجد أن القراءة بمثابة حلقة وصل وربط بين ما هو مكتوب وموثق على الورق وما هو ملفوظ ومنطوق سواء بشكل سري أو علني، وعلى هذا الأساس ورد مصطلح القراءة في المعاجم الاصطلاحية بمعان عدة تتنوع حسب اشتغالات الدارسين عليها، أهمها:

1 التلاوة: وهي هنا توافق المعنى اللغوي الذي يحمل معنى الأداء سواء كان ذلك جهرًا أم سرًا.

2 التفسير: وهو مفهوم بشير إلى تفسير الإشارات النصية، باعتبارها عناصر رمزية معبرة عن النص وعن الحضارة التي نشأ أو ظهر فيها النص، وهذا المفهوم شائع في بحوث ودراسات النقاد الذين يعتمدون في أعمالهم على نظرية التلقي والقراءة المفتوحة (حجازي سمير سعي(2001). قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر. دار الأفاق العربية. بيروت. ط1 . ص66.).

3 التأويل : وهو طريقة خاصة لتأويل ما يقرؤه المرء لنص فهمه غيره فهمًا مختلفًا؛ وهو بذلك يدل على تأويل جديد لنص معين.

2 التفاعل بين بنية النص والمتلقي:

يجوز أن نؤكد حقيقة كبرى مفادها أن الكتابة الثانية التي في عمقها قراءة تجد متعتها انطلاقًا من التفاعل بين بنية النص والمتلقي، بحيث تصير ذات المتلقي تتلقى الظواهر النصية، وتستنطقها بالمساءلة، بدءًا من كشف مخبوئها المتجلي بصيغ تتولد وتتجدد وفق ما يرومه القارئ، متأملًا بياض النص وفراغه.

ومن غير شك أن النصوص تحكمها استراتيجيات ثاوية تحتاج إلى قارئ يتغلغل في أصولها ويفكك مضمراتها التي تُمارسُ الحَجب، بله يأتي باستراتيجية تُعاكسه بتعبير فولفغانغ إيزر(Wolfgang Iser)، ولا يمكن بحال التفكيك وكشف الحجب إلا بنقد يواجه شقاء الوعي، حتى لا يأتمر المفكك باللاهوت ولا بأعطاب الحداثة، لأن كل هذه الأشياء ليست إلا حجبًا تمنع من فهم النصوص، وكما هو معلوم أن النص نسيج من العلاقات المنفتحة التي توجد وهي في حاجة إلى إعادة ترتيبها، والكشف عن بنياتها. لكنه ليس مجالًا لكل أنواع

القراءات ولكل التأويلات، الأمر الذي يدفعنا إلى اعتبار الاستراتيجية النصية جهازًا يجب تحديده ومعرفة حدوده، ومن ثم وجبت الإشارة إلى أن للتأويل حدودًا يجب مراعاتها؛ لأنه حين يتحول إلى آلة لجعل النص يقول ما ليس له علاقة به وبالأخص ما يتعلق بالنصوص التراثية، فإنه سيدفع بالمعرفة إلى الوراء، وسيؤدي ذلك إلى تقديس الماضي من جديد.

في حين أن العملية التأويلية تتأسس على العلاقة التي يقيمها الدارس المعاصر مع النصوص، فمغامرة التأويل تبدأ من هنا، لتصبح القراءة كتابة فوق أخرى والكتابة كلها قراءة في نصوص، والقراءة كلها كتابة في نصوص.

ومن هنا فإنه ما من شيء إلا والقراءة تقوله، وما من شيء في القراءة إلا والكتابة تسجله.

ومن هنا يكون كل مكتوب هو كتابة ثانية بحدث القراءة فيه، ويكون كل مقروء هو قراءة ثانية بحدث الكتابة فيه (منذر عياشي. (1998). الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، ط1، الدار البيضاء /بيروت: المركز الثقافي العربي، . ص.6.)

3 القراءة ودورها التأويلي في الكشف عن المعاني:

وتجدر الإشارة هنا إلى أن القراءة مفهوم يستمد عمقه من القوام المعرفي الذي يقوم عليه التراث التأويلي، بله تأويل ينهلُ من النظريات التأويلية المعاصرة، والقراءة، يقول نصر حامد أبو زيد: « إشكاليات القراءة لا تقف عند حدود اكتشاف الدلالات في سياقها التاريخي الثقافي الفكري، بل تتعدى ذلك إلى محاولة الوصول إلى "المغزى" المعاصر للنص التراثي، في أي مجال معرفي، ولا أظن أن الوصول إلى مغزى أمر اختياري، فالقراءة – من حيث هي فعل– تتحقق في الحاضر بكل ما تعنيه الكلمة من وجود ثقافي تاريخي أيديولوجي ومن أفق معرفي وخبرة محددين» انظر كتاب: نصر حامد أبو زيد(2012). إشكالية القراءة وآليات التأويل. ط 9. (الدار البيضاء/ بيروت. المركز الثقافي العربي. ص. 6.).

وكما هو معلوم، أن الممارسة التأويلية التفكيكية لا تستقر على حال، فهي مختلفة إلى قراءات تتباين معها، مُشَكِّلة أُفقًا مغايرًا بِحُكمِه يُسائل القارئ التجارب السابقة التي تتملكُها مرجعيات تحكم النص.

إن القراءة من هذا التصور "هي، في حقيقتِها:، نشاطٌ فكريٌ/ لُغَوِي مُوَلِّدٌ للتبايُنِ،، مُنتِجٌ للاختلاف،. إنها تتبايَنُ بطبيعَتِها، عما تُريدُ بَيانَهُ، وتختلِفُ بذاتها، عما تُريدُ قِراءتَهُ. وَشَرْطُها، بَل عِلَّةُ وُجودِها وتحقُّقِها أَن تَكونَ كذلك، أي: مُختلِفةٌ عما تقرأ فيه، ولكن فاعلة في الوقت نفسه، ومنتجة باختلافها، ولاختلافها بالذّات.

والقراءةُ التي تَزعُمُ أنَّها تَرمي إلى قراءة نفس ما قرأهُ مُؤلِّفُ النص، بحَرفِيَّتِهِ، لا مُبَرِرَ لها أَصلًا، إذ الأصلُ يكونُ عندئذٍ أوْلى منها، بل هو يغني عنها، هذا إن لم نَقُل بأنَّ مثل ذلكَ الزعم هو غشٌ وخِداعٌ؛ ذلك أن القراءة الحرفية مطلب يتعذَّرُ تَحقيقُهُ، ومطلوبٌ يَستَحيلُ بلوغُه، إذ الوقوفُ عند المعنى الحَرفي للنص، معناهُ: التكرار. والنصُ لا يَتَكرر، وإلا بَطُلَ كَونُهُ مقروءًا" (نقد الحقيقة. مرجع مذكور. ص. 5.).

فالمطلب الرئيس من القراءة تحقيقُ تفاعل مع النصوص المحكومة باستراتيجياتها، انطلاقًا من تأَوُّلِها وتفكيكها.

(في حديث جاك دريدا عن مقولة « التفكيك» يقول: « ف«التفكيك» إن كان موجودًا، وحتى لو ظل تجربة المستحيل– ليس واحدًا. «إن كان موجودًا»، كما أعتقد أنه من الواجب أن نقول دائمًا، وبحسب جهة «الممكن» غير القابلة للاختزال. إنه «ممكن الممكن– المستحيل»، إذ يوجد أكثر من تفكيك واحد، وهو يتكلم أكثر من لغة. هذا هو قدره، عبد الكبير الشرقاوي مترجمًا، لغات وتفكيكات في الثقافة العربية، جاكدريدا ، الوفاء لأكثر من واحد: استحقاق التراث حيث غياب الجينيالوجيا. ط1 الدار البيضاء. دار توبقال للنشر. 1998). ص.193. انظر أيضًا: جاك دريدا. (1988) الكتابة والاختلاف. « رسالة إلى صديقي الياباني حول مفردة ومفهوم «التفكيك»» ترجمة : كاظم جهاد/ تقديم: محمد علال

سيناصر، ط 1 (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر. ص. 58/57.) طبقاتها والكشف عن مقاصد تسترها نُظُم الخطاب؛ بحثًا عن الاختلاف بدلًا من الإتيان بما أملاه المؤلف، ولإيضاح ما نرمي إليه، فإن «القراءة لا تهتم بإبراز النسق الذي يقولب الفكر؛ لأن من شأن الفكر الحر أن لا ينغلق على نفسه في نسق جامد، كي لا يلغي بذلك إمكان المساءلة والفهم؛ ولا تهتم القراءة أيضا برد الأفكار إلى مكوناتها وعناصرها إذ البحث عن المكونات يؤدي إلى تقويض المعنى، كما إنها لا تبحث في آلية العقل، أي: في الأداة التي يستخدمها في إنتاج ما ينتجه؛ لأن العقل ليس أداة ولا آلة، وإنما هو إمكان ذهني، فضلًا عن أن العقل في النهاية ما يعقله، وباختصار، إننا نرى إلى النصوص بوصفها فسحة كلامية متجددة واحتمالًا لا يتوقف عن التأويل» (التأويل والحقيقة. (2007) قراءات تأويلية في الثقافة العربية. علي حرب، دار التنوير. بيروت. ، ص: 12.)

فالأنساق تُضمِرُ أوهامًا كثيرة تقيد الإرادة الحرة، ولا تسمحُ بتجاوزها أو رفضها، وحاصلُ ذلك أن ممتهن الكتابة لا يستطيع أن يفسح لنفسه مجالًا تتجلى معالمه في مفاهيمه.

وقد تسعى القراءة إلى تفكيك/ تقويض الأنساق لأنها تكرس دائمًا لأحادية البعد المأسور إلى قوالبه الجامدة كيف ما كانت.

وعلى هذا النحو، فالتأويل/القراءة الذي نرمي إليه تأويل يولد المعنى، أي تأويل قائم على فلسفة الاختلاف؛ فالقولُ به آكدُ من التكرار، لأن في الاختلاف اجتراحًا للمعنى وتوليدًا للكلمات التي تُظهر قوته وتفرض "توليفا أصليا لا تسبقه أية بساطة مطلقة، وهذا هو الأثر Trace الأصلي، فبدون أثر يحفظ الآخر كآخر في المثيل، لا يمكن لأي اختلاف أن يقوم بعمله، ولا لأي معنى أن يظهر، ما يريد "جاك دريدا" Jacques derrida" أن يؤكده هو لعبة الاختلافات، هذه هي أساسية في كل اعتبار للغة... ليس هناك من مفهوم يستطيع أن يستوعبها، لأنها هي الأصل الذي لا أصل له، فإذا كان الأصل بلا مركز، فهذا يعني بكل بساطة أن الأصل الذي قام عليه كل تراث فلسفي يتفكك وينهار، لقد قام على فكرة الحضور والوضوح والمتقابلات، ونسي أن الأثر أو الاختلاف الذي يتركه عنصر كاختلاف لدى عنصر آخر حسي ثم دلالي لا يوجد... "إن هذا الاختلاف ليس أكثر حسية أو أقل عقلانية، بل إنه يسمح بتحريك الإشارات وتفاعلها فيما بينها، وداخل نظام مجرد، وهو يؤسس التعارض الميتافيزيقي للحسي والعقلي، ثم بين الدال والمدلول، والمبنى والمعنى، والتعبير والمحتوى"(جورج زيناتي. (2013ا) الفلسفة في مساراتها، ط2 بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، حزيران/ يونيو. ص: 325/324.)

وقوة الاختلاف باعتبارها فكرة "أساسية في التصور التفكيكي وهي تهدم تراكيب الكتابة من غيرها من المستويات، والتفكيكية بهذا المفهوم نشاط قراءة يبقى مرتبطًا بقوة النصوص (صلاح فضل. (2013) مناهج النقد المعاصر، ط 2 الدار البيضاء: أفريقيا الشرق ص.109.)

ويتأكد ذلك من خلال استنطاق النص بالمُساءلة، بحيث إن "النص يمكن أن يقرأ بتجاوز لمعناه التواضعي والاصطلاحي، وهذه القراءة نوع من اللعب الحر (محمد مفتاح. (1990. مجهول البيان، ط 1. الدار البيضاء. دار توبقال للنشر. ص.101.)

وفي هذا السياق ، يقول: إمبرتو إيكو (ينظر في مفهوم سيمياء القراءة لدى إمبرتو إيكو الذي عارض استراتيجية التفكيك من خلال وضع حدود للتأويل) قارنًا لجاكدريدا: إن "النص لا يحتوي على أي مدلول متفرد مطلق، ولا وجود لأي مدلول متعالٍ، ولا يرتبط الدال بشكل مباشر بمدلول يعمل النص على تأجيله وإرجائه باستمرار (إمبرتو إيكو(2004) ، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة سعيد بنكراد، ط 1 (الدار البيضاء / بيروت: المركز الثقافي العربي، ص 125 /126.).. ذلك أن إيكو قد " تبنى [...] في مقابل التأويل التفكيكي، اللامتناهي، موقفًا نظريًا وفلسفيًا، ينظر إلى التأويل على

أنه نشاط سميائي، تحكمه قواعد ومعايير»(محمد بوعزة. استراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية. ط 1 (الرباط: منشورات الاختلاف، دار الأمان). ص: 71.)

يرى إيكو انطلاقا من السيميوز المتناهية، أن النموذج الثاني من التأويل مبني على فكرة الحد، فهو ذو أصول حضارية تمتزج داخلها السياسة بالمنطق والتاريخ؛ فالحدود هي أصل البناء «بناء المدينة، وتحديد تخوم الإمبراطورية، موجودة لأن هناك حدودا ترسم هويتها» (إمبرتو إيكو.(2004). ترجمة. سعيد بنكَراد، التأويل بين السميائيات والتفكيكية، (مقدمة المترجم)، ط 1 (الدار البيضاء / بيروت: المركز الثقافي العربي. ص:10.)

وهذا معناه – كما يقول إيكو – أن فكرة الحد كانت تتسم بقدر كبير من الأهمية، لكونها الفيصل بين موقفين تأويليين، أو طريقتين في فك رموز النص.

يشير" إيكو " إلى أن استراتيجية التأويل الدريدية، في تعاملها مع النصوص، لا تخضع لحدود منطقية، بسبب التأويل اللامتناهي، السبب الذي يرهقُ النص، ومرد ذلك إلى التراقص كما عبر عنه عبد العزيز حمودة في قوله عن الناقد والنص الأدبي: "يهتز كل منهما إلى الجانب المعاكس من جانب رفيقه، دون أن يتقابلا في منتصف الطريق إلا لثوان عابرة لا يمكن وصفها بالثبات، الطرف الذي يرهق في هذه الرقصة المتكررة كل ليلة هو النص الأدبي، إذ إنه – نفس الراقص/النص – مضطر لمراقصة كل الحاضرين، في ليلة واحدة، وفي كل ليلة (عبد العزيز حمودة. (1998). المرآيا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية. عالم المعرفة. أبريل ص. 232.)

يعني أن النص يخضع للمنطق الذاتوي لكل قارئ، وهذا ما يجعل استراتيجية التأويل نِسبية" (فريد الزاهي. (2003). النص والجسد والتأويل. البيضاء. إفريقيا الشرق.ط2. ص. 101.)

كما قال فريد الزاهي.

واستنادًا إلى ذلك، نتوسل بالسؤال الحواري الذي يساعد على تمثل معنى من خلال معانقة النص اللامتناهي، "ولعبة السؤال والجواب التي ورثها غادامير عن حوارية سقراط تعبر –عند فاتيمو– عن الطابع اللانهائي والعدمي للتأويل بحيث كل جواب عن سؤال هو ضمنيا سؤال مفتوح لا ينغلق"(محمد شوقي الزين (2002). تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر. والتأويل. « العدمية في الهيرمينوطيقا، الحقيقة» ط1 (الدار البيضاء / بيروت. المركز الثقافي العربي. ص. 19.)

وبناءً على لعبة السؤال والجواب تتحقق حوارية مع التاريخ(يقول الأستاذ عبد الله العروي. (2002) من يُفكر اليوم في مفهوم التاريخ لا يكتفي بفحص صناعة المؤرخ، مع أن هذا الفحص يكون ضروريًا للموضوع، إنه يتساءل عن المصير، عن البداية والنهاية، عن الزمان، عن الوجدان الإنساني...وكل بحث عن أي من هذه المفاهيم يعتبر مساهمة في توضيح معنى التاريخ. عبد الله العروي. ثقافتنا في ضوء التاريخ، ط 6 (الدار البيضاء/ بيروت: المركز الثقافي العربي، ص:24/23.)

الذي يخفي نرجسية نبتغي اجتراحَ أصولها؛ بدلًا من التقيُّدِ بالنقول والسجود لأصنام الشرق المفتون بذاته، والداعي إلى الحقيقة المطلقة التي تتأمل خطاب الهوية بوعي دوغمائي، يقتضي منا "فضح ألاعيب الحقيقة التي يُمارسُها خِطابُ الحقيقة،. وهذا ما يتكَلَّفُ به النَّقدُ؛، ذلك أن النقدَ يُبَيِّنُ لنا أنَّ الكلمات ليست بريئة في تمثيلِها لعالم المعنى...، إنه يبين أن للخطاب نشاطاته السرية وإجراءاته الخفية؛ ولهذا ليس النص نصًا على المعنى المراد، بِقَدرِ ما هو حيّزٌ لممارسة آلياته المختلِفَة في الحجب والخداع والتحوير والكبت والاستعباد.

وهذا شأن كلمة الحقيقة ذاتها، فهي تُخفي ما تُشيرُ إليه وتتكلَّمُ عليه؛ ذلك أنّ ما تُضْمِرُهُ هذِهِ الكَلِمَةُ وتَسكُت عنهُ، فيما هيَ تُعلِنُهُ وَتَنْطِقُ بِه، هو أن الحقيقةَ مُطلَقَةٌ نهائيةٌ ثابتة أُحادِيَّة، وفي هذا تأليهٌ للحَقيقة، وفي التأليهِ حجبٌ وتَغييب(علي حرب. النص والحقيقة، نقد الحقيقة.(2011)، الدار البيضاء بيروت. المركز الثقافي العربي.ط3، ص 1.).

ولما آلت الخطابات الأيديولوجية إلى تأليه مسألة الهوية بمعطيات هي في ذاتها تنفي التغير، فإن التأليه مرتبط بتقييداتٍ يحكُمها الاعتقاد بعدَم تجاوز خطوط حمراء وضعتها الأيديولوجيا، الأيديولوجيا بوصفها صنمًا يعبد.

وعلى ذلك يقول بول ب أرمسترونغ Paul B. armstrong: «يُمكِنُ أن يُساعِدَنا دورُ الاعتقاد في الفهم على توضيح هذه التناقضات في عملية التأويل»(بول ب. أرمسترونغ، ترجمة فلاح رحيم (2009) . القراءات المتصارعة. التنوع والمصداقية في التأويل. ط 1 (لبنان / بيروت. الكتاب الجديد المتحدة. ص. 51.)

وللاعتقاد دور كبير في انسداد الفكر، بحيث يصير تَمثل المعتقد مأسورًا إلى تثبيت اعتقاده ، على حساب حرية الفكر، وبه تُنسى الثقافة قولًا بالانغلاق، ولهذا الأخير دلالات متعددة أثبتها «الخطيبي» ناظرًا إلى المغرب بوصفه فكرًا حُددت مجالات حريته وانغلاقه « الانغلاق الذاتي، الانغلاق بقوة القانون المجتمعي، الانغلاق بالقوة، الانغلاق المولد لنظام المراقبة والتعذيب للجسد والذهن ليس هناك انغلاق ثمة حيث نفكر، بل هناك حيث نعتقد؛ ذلك أن أمام الفكر دائمًا شرطًا، هو خطورة حريته، وعليه أن يقيس استراتيجيتها، أن يجرب حظه الذي "ربما " لم يتم الحصول عليه إلا بعد جهد مضن» (مجلة الكرمل. دراسة: الباحث الناقد، عبد الكبير الخطيبي، ترجمة عبد الله راجع، العدد 1984/11، ص195).

وزيادة في التوضيح فالقول بأن« اعتقادًا لا يُداخِلُهُ الشَّكُ أمرٌ خَطير» (القراءات المتصارعة، مرجع مذكور، ص : 53)

إذن، فالتأويل حوار في صميم الكينونة، حوار لا مجال فيه للفصل التام بين الذات والموضوع، كما يقول علي حرب،. وانطلاقًا من هذا، فالمؤول يتأوّل تاريخه ويتغلغل فيه كي يدرك ذاته وأهواءه، لذا، « ليس التأويل مجرد تقنية للبحث أو أداة للمعرفة أو طريقًا إلى الحقيقة،. وإنما هو مجال للفهم، و يسمحُ بإعادة تعريف الأشياء،. فالمنهج ليس طريقًا إلى الحقيقة وحسب، ولكنه أيضًا سبيل إلى تجديد فهمنا للحقيقة ذاتها،. وبذلك تتضاعفُ دلالة الوجود ويتسع معنى الحق» (التأويل والحقيقة: قراءات تأويلية في الثقافة العربية، علي حرب، ص: 23).

خاتمة :

وأخيرًا جاز لنا القول: إن فعل القراءة اليوم لم يعد حقيقة تلك الممارسة البسيطة – كما كان يعتقد لدى البعض – والتي يمرر فيها البصر على السطور، ولا ذاك الاستقبال التقبلي الذي نكتفي فيه عادة بتلقي الخطاب تلقيًا سلبيًا، اعتقادًا منا أن معنى النص قد صيغ وحددت دلالته بشكل نهائي، ولم يبق سوى العثور عليه كما هو، أو كما كان نية في ذهن القارئ، لقد صار فعل القراءة عملية إنتاج وتوليد، فأمام القارئ مناهج كثيرة يقرأ النص الذي بين يديه وفقًا لها ، وله أن يختار منها ما يريد، فيحلل ويؤول كما يشتهي.

المصادر والمراجع:

ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. دار صادر، بيروت لبنان. مج1، د، ط، د، ت، مادة قرأ.

أمبرتو إيكو (2004). ترجمة. سعيد بنكراد، التأويل بين السميائيات والتفكيكية، (مقدمة المترجم)، ط 1 (الدار البيضاء / بيروت: المركز الثقافي العربي،

أمبرتو إيكو.(2004). التأويل بين السيميائيات والتفكيكية. ترجمة سعيد بنكراد. ط 1 (الدار البيضاء / بيروت. المركز الثقافي العربي.

بول ب. أرمسترونغ، ترجمة فلاح رحيم (2009). القراءات المتصارعة: التنوع والمصداقية في التأويل، ط 1 (لبنان / بيروت: الكتاب الجديد المتحدة،

جورج زيناتي.(2013). الفلسفة في مساراتها. ط2 بيروت. دار الكتاب الجديد المتحدة. حزيران/ يونيو.

حجازي سمير سعي. (2001). قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الأفاق العربية، بيروت، ط1.

صلاح فضل. (2013). مناهج النقد المعاصر. ط 2 (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.

عبد العزيز حمودة، المرآيا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية. عالم المعرفة. أبريل 1998

علي حرب. (2007) التأويل والحقيقة. قراءات تأويلية في الثقافة العربية، دار التنوير، بيروت.ط1

علي حرب.(2011). النص والحقيقة، نقد الحقيقة. ط3 (الدار البيضاء، بيروت. المركز الثقافي العربي

فريد الزاهي. (2003). النص والجسد والتأويل. (البيضاء. إفريقيا الشرق. ط1

مجلة الكرمل.(1984) دراسة. الباحث الناقد، عبد الكبير الخطيبي، ترجمة عبد الله راجع، العدد 11.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط. مكتبة الشروق الدولية. القاهرة مصر. ط4. 2004.

محمد بوعزة، استراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية. ط 1 الرباط. منشورات الاختلاف، دار الأمان.

محمد شوقي الزين. (2002). تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر، والتأويل العدمية في الهيرمينوطيقا، الحقيقة ط. 1 (الدار البيضاء / بيروت: المركز الثقافي العربي،

محمد مفتاح. (1990). مجهول البيان. ط 1. (الدار البيضاء. دار توبقال للنشر.

منذر عياشي.(1998). الكتابة الثانية وفاتحة المتعة. ط1. (الدار البيضاء /بيروت: المركز الثقافي العربي،

ينظر في مفهوم سيمياء القراءة لدى أمبرتو إيكو الذي عارض استراتيجية التفكيك من خلال وضع حدود للتأويل:

Umberto eco, Les limites de L’interprétation,(les conditions de l’interprétation) Traduit de l’italien par Myriembouzahir , éditions Grasset &fasquelle, 1992 pour la traduction française